عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

حملة هولاكو على بغداد

٦٥٦ هـ

بقلم الدكتور

رشيد عبد الله الجميلي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

عرف المغول قبل عصر جنكيزخان باسم (التتار) ، وقد وردت هذه التسمية في نقوش ارخون في القرن الثامن الميلادي ، وكانوا ينقسمون الى قسمين : الاول يتألف من تسع قبائل والاخر يتألف من ثلاثين قبيلة .(١)

عاش المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي الممتدة في اواسط جنوبي سيبريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان ، بين جبال التاي غرباً وجبال جنجان شرقاً ، وقد مارس المغول الرعي والصيد فكانوا يتنقلون في ارجاء هضبة منغوليا سعياً وراء مواطن المياه والكلأ فيهبطون في الشتاء الى سهولها ومناطقها الدافئة حيث تتوفر الظروف المناسبة للرعي ، وفي الصيف يستقرون في المرتفعات واعالي الجبال مدة شهرين او اكثر حيث البرودة والمياه .(٢)

والواقع أن تاريخ المغول السياسي بدأ مع ظهور جنكيزخان الذي نجح في استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سياسية قدر لها الاستمرار بفضل مهارته وحسن قيادته حتى بعد وفاته .(٣)

بدا جنكيزخان اجتياحه لاقاليم العالم الاسلامي منذ عام ٦١٦هـ/١٢١٩م ، ففي هذه السنة تدفقت جيوشه على دولة خوارزم فسيطر وندة جوجي على القسم الغربي من بلاد ما وراء النهر في نفس الوقت الذي نجح فيه بعض قواده في الاستيلاء على بناكت وخجندة على الرغم من المقاومة التي ابداها اهل هذا الاقليم(٤) اما جنكيزخان نفسه فقد زحف بالجيش الرئيسي نحو بخارى فوصلها في غرة ذي الحجة من سنة ٦١٦هـ فاحدث فيها مجزرة رهيبة تحولت المدينة على اثرها الى حطام ورماد .(٥) ، ولم تلبث سمرقند ان استسلمت في يوم عاشوراء من سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م بعد حصار قصير ولقي معظم سكانها مصرعهم على ايدي المغول الذين تمت لهم السيطرة على معظم اقليم ما وراء النهر واصبحت الطريق امامهم ممهدة الى خراسان وبقية الولايات الغربية .(٦)

---

(١) بارتولد ، مادة جنكيزخان ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية ، م٧ ص ١٢٧ الباز العريني ، المغول ص ٢٢ ، بيروت ١٩٦٧ ، احمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ج ٢ ص ٤٦٥ .

(٢) هوتسمان ، مادة التتار ـ دائرة المعارف الاسلامية ، م٤ ص ٥٧٦ ، حسن احمد محمود واحمد الشريف ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٦٢٨ .

(٣) محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ص ٨ ـ ٩ .

(٤) تاريخ بخارى ص ١٦٦ ـ ١٦٨ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، الجوزجاني ، تاريخ آل جنكيز ص ١٤ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، تاريخ بخارى ص ١٧٢ ـ ١٧٥ محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ص ٣٤ .

WWW.ATTAWEEL.COM

وكان خوارزم شاه (علاء الدين محمد) قد غلب عليه الهلع والخوف ففر امام المغول قبل ان يشتبك في معركة فاصلة تاركاً مهمة الدفاع لحكام الولايات فتنقل في هربه من جيحون الى نيسابور الى بسطام ثم الى الري ومنها الى مازندران دون ان يفكر في الوقوف والتصدي للفرق التي ارسلها جنكيزخان لمطاردته ، ثم آل به الامر الى إحدى جزر بحر الخزر حيث قضى هناك بقية ايامه ومات في اواخر سنة ٦١٧هـ.(٧) اما جنكيزخان فقد عاد الى منغوليا في سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م حيث مات بعد اربعة اعوام ، ولم يتم انتخاب ولده وخليفته اوغوتاي إلا في سنة ٦٢٦هـ(٨) ، وكان جلال الدين منكبرتي ابن علاء الدين محمد قد رحل من الهند في سنة ٦٢٢هـ بعد فراره امام جنكيزخان وشرع باعادة تعبئة جيوش ابيه ؛ ثم إستعد لاعادة سيطرته على جنوب ايران وغربها غير انه انصرف الى محاربة القوى الاسلامية المجاورة وتعرض لبلاد الخليفة العباسي حتى وصلت طلائع قواته الى بعقوبا وتكريت واستولت على داقوقا(٩) ، غير ان تعرضه لمدينة خلاط في سنة ٦٢٦هـ قد ادى الى تحالف الملك الاشرف بن العادل الايوبي مع كيقباذ بن كيخسرو فتمكنا من هزيمته والقضاء على معظم قواته(١٠) ، وقد اطمعت هذه الهزيمة اعداء جلال الدين فاغروا به المغول ، وحين احس بالخطر المحدق به سعى للتقرب الى الخليفة العباسي والملك الاشرف الايوبي ، كما راسل عدداً من امراء المسلمين في اقليم الجزيرة وبلاد الشام ، غير ان المغول كانوا له بالمرصاد فلم يتركوا الفرصة له لاعادة بناء قوته العسكرية واسرعوا بمهاجمته في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م ففر الى احدى قرى ميافارقين ولم يلبث ان سقط صريعاً بيد احد الاكراد في المنطقة .(١١)

زحف المغول نحو بغداد :

كان سقوط الدولة الخوارزمية واختفاء جلال الدين قد اتاح للمغول التوسع السريع نحو الغرب فوصلوا ديار بكر وآمد وميافارقين وبلغوا الجزيرة وحران ، وتعرضت بلاد الموصل واربل ودقوقا لهجماتهم ، واصبح الطريق ممهداً امامهم نحو عاصمة الخلافة بغداد ، فقاموا بعدة حملات استهدفت اشاعة الرعب في النفوس والوقوف على وضع الخلافة من الناحية العسكرية ومدى استعدادها للدفاع عن بغداد ، وقد بلغت هجمات المغول على العراق خلال هذه الفترة وحتى احتلال بغداد ثلاث عشرة حملة .(١٢)

وكانت المرة الاولى التي هاجم فيها المغول اطراف العراق سنة ٦١٨هـ حين وصلت الاخبار الى بغداد بتقدم المغول من مراغه في اذربيجان نحو اربل ، فبادر الخليفة الناصر لدين الله الى تحصين بغداد وكتب الى امير الموصل وامير اربل يأمرهما بالانضمام الى عساكره في داقوقا ؛ وخرجت قوات اربل والموصل فعلا لمواجهة الموقف ؛ وفوجئت هذه القوات بقلة عساكر الخليفة التي لم تكن تتجاوز ثمنمائة رجل خلافاً لما كان قد وعد به من انه سيرسل عشرة الآف رجل لمواجهة المغول ، ولم يجسر امير اربل مظفر الدين كوكوري على مهاجمة المغول الذين شرعوا في الانسحاب ظناً منهم ان قوات الخلافة في اثرهم(١٣) .

وتلا ذلك فترة من الهدوء دامت نحواً من عشر سنوات وذلك بسبب عودة المغول الى بلادهم وما تبع ذلك من وفاة جنكيزخان وتولي ولده اوغوتاي العرش من بعده الذي تمكن من القضاء على آخر مقاومة للخوارزميين بهزيمة جلال الدين منكبرتي في سنة ٦٢٨هـ ، ثم عاود المغول هجماتهم ضد العراق فوصلت غاراتهم الى اربل والموصل وداقوقا . وتكررت هذه الاغارات عدة مرات حيث تعرضت مناطق اربل والموصل وسنجار وحران وماردين للغزو بين عامي ٦٣٣هـ و ٦٣٤هـ واضطر على اثرها امير الموصل بدر الدين لؤلؤ الى مصالحتهم(١٤) .

ولم تكن الخلافة في هذه المرحلة التاريخية الخطيرة على مستوى المسؤولية ولم تدرك حقيقة الكارثة التي باتت تهدد البلاد ، فكانت تكتفي باستنفار المتطوعين من الاطراف وترسل الكتب

(٧) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، ج ٢ ص ١١٤ ـ ١١٧ ، تاريخ بخارى ص ١٧٦/١٧٨ حافظ حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .
(٨) جعفر خصباك ، الاحتلال المغولي للعراق مجلة كلية الاداب العدد ٣ سنة ١٩٥٨ ص ١١٠ ـ ١١١ .
(٩) سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ج ٨ قسم ٢ ص٦٢٤.
(١٠) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص ١٥٢ .
(١١) سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ج ٨ ق ٢ ص ٦٦٦ ، ابن العبري ، ص ٢٤٧ . القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ص ٥١ .
(١٢) نفس المصدر ، ج ٨ ق ٢ ص ٦٧٢ ، القزاز ، نفس المرجع السابق ص ٥٢ .
(١٣) ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .
(١٤) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٨٤ ، ٩٩ ، ابن العبري ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

الى الامراء تستحثهم على النهوض(١٥) ، وسرعان ما تختفي هذه الاجراءات مع ابتعاد الخطر عن اطراف الدولة ، ويعود الناس الى اعمالهم ، في حين كان يتعين على الخلافة تعبئة طاقات الامة وحشد قواها المادية والبشرية لمواجهة التحدي المغولي وان يتولى الخليفة نفسه قيادة القوى المقاتلة لما يترتب على ذلك من رفع للمعنويات وشحذ للهمم ؛ غير ان شيئاً من ذلك لم يحدث فقد كانت سياسة المستنصر بالله(١٦) تقوم على محاولة استرضاء المغول ومصانعتهم ؛ ثم بلغت الخلافة ذروة ضعفها في عهد المستعصم بالله(١٧) (٦٤٠هـ ـ ٦٥٦) ، الذي وصفه المؤرخون بالغفلة وضعف الراي وقلة العزم ، وكان اخطر ما اقدم عليه الخليفة الجديد هو اهماله الجيش وامساكه عن الانفاق على الجند .(١٨)

والواقع ان اهمال الناحية العسكرية وما ترتب عليها من نتائج سيئة لا يتحمل مسؤوليتها الخليفة وحده بل يشاركه رجال دولته من الوزراء والحجاب وامراء الجيش والحاشية ؛ فهؤلاء جميعاً يتحملون مسؤولية الكارثة التي حلت بالبلاد(١٩) . فكان بعضهم يهون على الخليفة امر المغول والبعض الآخر ينصح باسترضائهم بالهدايا والاموال ، بالاضافة الى ما تفجر بين هؤلاء الامراء والوزراء من خلافات وصراعات حول السلطة عجز الخليفة عن السيطرة عليها وازالة اسبابها ، فكان ذلك عاملا من عوامل اشاعة الفوضى والاضطراب في دار الخلافة .

هجوم المغول على بغداد :

استعد هولاكو للزحف نحو بغداد في المحرم سنة ٦٥٥هـ بعد ان تم له القضاء على قلاع الاسماعيلية في ايران ، وبعث من همدان انذاراً شديداً الى الخليفة المستعصم بالله دعاه الى تدمير جميع اسوار بغداد والمثول بشخصه امامه او ارسال ثلاثة من كبار رجال دولته نيابة عنه ؛ فرفض الخليفة ذلك(٢٠) ، وكتب اليه واصفاً اياه بالغرور ومهدداً بان ملوك الارض سيقفون الى جانبه اذا استمر في الزحف نحو بلاده ، ودعاه الى الجنوح للسلم والعودة الى خراسان أو الا لنحرب ، فلم يأبه هولاكو برسالة الخليفة بل استخف بها واكد اصراره على مواصلة زحفه الى بغداد(٢١) ، ثم ارسل نداءاً آخر دعا الخليفة فيه الى تحديد موقفه وهدده بانه متوجه الى بغداد « بجيش كالنمل والجراد » .(٢٢) وقد رفض الخليفة هذا الانذار ظناً منه بان الايوبيين في الشام والمماليك في مصر سيسارعون الى الانضواء تحت لوائه متناسياً الظروف السيئة التي كانت تحيط ببيوتهم في هذه الفترة(٢٣) .

وفي المحرم من عام ٦٥٥هـ تحرك هولاكو من همدان فوصل اسد آباد حيث اوفد رسولا الى بغداد يطلب الى الخليفة الحضور امامه بهدف التوصل الى اتفاق لتجنب الحرب ، وترك للخليفة الخيار في الحضور او ان ينيب عنه وزيره ابن العلقمي وقائده الدويدار وسليمان شاه ، غير ان الخليفة لم يكن يملك القدرة على حمل هؤلاء الثلاثة بالخروج للقاء هولاكو ، فاكتفى بارسال شريف الدين ابن الجوزي وخوله بذل الاموال لاقناع الزعيم المغولي بالعودة عن بغداد ؛ غير ان ذلك لم يجد نفعاً .(٢٤)

ولم يجد الخليفة بدا من المواجهة فامر قائده مجاهد الدين أيبك الدويدار بالخروج على راس قوات بغداد للتصدي لهولاكو على طريق حلوان .(٢٥)

وكان هولاكو قد وضع خطة للاطباق على بغداد من جميع جهاتها وتقرر أن يزحف قسم من جيشه عبر دجلة ليحيط بالجانب الغربي في حين يتولى بنفسه الالتفاف على القسم الشرقي من المدينة ؛ ويشير المؤرخ رشيد الدين الى أن جيش هولاكو كان يتألف من اربعة اقسام اطبقت على

---

(١٥) المصدر السابق ، ص ٨٥ ـ ٩٨ ، ١١٠ ، ١١٢ .
(١٦) المستنصر بالله : ابو جعفر منصور بن الظاهر بامر الله ولد في صفر سنة ٥٨٨هـ .
(١٧) المستعصم بالله : ابو احمد عبدالله بن المستنصر بالله ولد في سنة ٦٠٩هـ .
(١٨) ابن الفوطي ، ص ١٦٨ ، ٢٦١ ، ٢٢٠ ، ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٤٨ .
(١٩) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير .

(٢٠) رشيد الدين ، جامع التواريخ م٢ ج١ ص ٢٦٧ ـ ٢٧١ ، ابن العبري ، ص ٢٧١ .
(٢١) رشيد الدين ، جامع التواريخ م١ ج٢ ص ٢٧١ .
(٢٢) المصدر السابق ، جامع التواريخ ص ٢٧١ .
(٢٣) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص ٣١٣ .
(٢٤) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٢٢٠ ، ابن العبري ص ٢٧٠ .
(٢٥) جعفر خصباك ، الاحتلال المغولي للعراق مجلة كلية الاداب عدد ٣ سنة ١٩٥٨ ص ١٤٠ .

بغداد من جانبيها ؛ في حين يذكر ابن الفوطي القسمين الرئيسيين لهذا الجيش .(٢٦)

نزل عسكر الخليفة بقيادة الدويدار في بادىء الامر في بعقوبة ؛ فلما علم بتقدم قوة من المغول نحو الضفة الغربية لدجلة ، سارع بعبور النهر ليتصدى لهم شمال بغداد ، فادى انسحابه هذا الى خلو الجهة الشرقية من الجند ، وحاول الخليفة حمل من تبقى من امراء العسكر على الخروج تحت قيادة مرشد الخصي ؛ فرفضوا المسير تحت لوائه ولم ينفذوا اوامر الخليفة ، مما سهل مهمة هولاكو في الوصول الى اسوار بغداد(٢٧) والتقى جيش الخليفة بطلائع المغول بالقرب من قنطرة باب البصرة ، وقد اختلف المؤرخون في تقدير حجم القوة المغولية ، فابن كثير يذكر انها كانت نحواً من عشرة الاف ؛ في حين يجعلها ابن الطقطقي ثلاثين الفا(٢٨) . ولجأ المغول الى تطبيق اساليبهم المعروفة في الحرب فتظاهروا بالهرب امام قوات الخليفة التي كان يقودها الدويدار ، فاندفع وراءهم ولم يستمع الى نصيحة فتح الدين بن عمر الذي اشار عليه بالثبات في مواقعه ؛ والاستعداد لمواجهتهم مرة اخرى ؛ وكان المغول يرمون الى ابعاد قوات بغداد عن مواقعها في نفس الوقت الذي تقوم فيه فرقة منهم بتدمير السدود المقامة على تفرع نهر بشير من الدجيل لاغراق الاراضي وراء تلك القوات وحصرها فيها ، وقد نجح المغول في تحقيق هذا الهدف حين توقفوا عن التراجع وعادوا للهجوم ثانية حيث انحصرت قوات بغداد في المنطقة المغمورة بالمياه فهلك معظمها الا من القى نفسه في الماء ومن دخل البرية ومشى على وجهه الى الشام، وتمكن الدويدار من النجاة ودخل بغداد في عدد قليل من اصحابه(٢٩) .

وفي الحادي عشر من محرم سنة٦٥٦هـ/٢٢ كانون ثاني ١٢٥٨م استكمل المغول حشودهم على الضفة الغربية لنهر دجلة ، وتولى قيادة هذه الحشود ثلاثة من كبار امرائهم وهم : بايجو ؛ وبقاتيمور ، وسوجونجق (سونجاق) ، في حين

(٢٦) رشيد الدين ، جامع التواريخ م٢ ج١ ص ٢٨١ ، ابن الفوطي ، ص ٢٢٠ ، الفزاز ، ص ٢٢٤ .
(٢٧) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٤٩ .
(٢٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠١ ، ابن الطقطقي ، الفخري ص ٢٩٣ .
(٢٩) ابن العبري ، ص ٢٧٠ ، العيني ، تاريخ المغول ص ٢١٨ .

كان هولاكو وكتبغا يضيقون الخناق على بغداد من من الجانب الآخر ، وبادر المغول الى اقامة الاستحكامات ، فاقاموا على دجلة باعلى المدينة وباسفلها جسرين قائمين على السفن امعاناً في تضييق الحصار على بغداد وكي لا يدعوا لاهلها الفرصة في الرحيل عن طريق النهر ، واستخدم المغول جذوع النخيل للرمي بالمنجنيق بدلا من الاحجار التي لم تكن متوفرة حول بغداد حيث كانوا يأتون بها من جبل حمرين وجلولاء .(٣٠)

وبدأ المغول الحرب في الثاني والعشرين من المحرم وشدد هولاكو على القطاع الشرقي فتمكن من الاستيلاء على الاسوار المتمثلة في البرج المعروف ببرج العجمي المجاور لباب الحلبة ، وكان نجاح المغول في الاستيلاء على هذا الجزء الهام من المدينة اثره في معنويات المدافعين وسكان المدينة ؛ فقرر الخليفة ايفاد وزيره ابن العلقمي وجاثليق المسيحيين النساطرة الى هولاكو لاقناعه بالكف عن القتال وعقد الصلح ، غير ان هولاكو لم يلتفت الى ذلك ؛ بل طلب من الوزير ان يصطحب معه الدويدار وسليمان شاه ؛ الا ان الوزير حضر في اليوم التالي مع صاحب الديوان وجماعة من اعيان بغداد ، فردهم هولاكو خائبين واستمرت الحرب بين الطرفين .(٣١)

وساءت الاحوال ببغداد وحاول عدد كبير من رجال حاشيتها الهرب غير انهم لم ينجحوا ووقعوا في قبضة المغول فاجهزوا عليهم ، ولم يلبث الخليفة المستعصم ان اعلن الاستسلام وارسل فخر الدين الدامغاني وابن درنوس مع بعض الهدايا لتقديمها الى هولاكو ، غير ان الاخير لم يأمر بوقف القتال ، كما رفض شفاعة ولدي الخليفة الفضل عبدالرحمن وابي العباس احمد اللذين خرجا بعد ذلك مع جماعة من اهل بغداد محملين بالهدايا والتحف .(٣٢) واصر الزعيم المغولي على ضرورة حضور الدويدار وسليمان شاه اللذين كانا يتوليان قيادة المقاومة ضد المغول ؛ فقررا الخروج لمقابلة هولاكو في الاول من صفر سنة ٦٥٦هـ ؛ فطلب اليهما اصدار الاوامر الى المدافعين عن بغداد بالانضمام الى الجيش المغولي الذي سيتوجه الى الشام ومصر ، فاستجابا لذلك ، وخرج عدد كثير من الجند للالتحاق

(٣٠) ابن العبري ، ص ٢٧٣ ، الفزاز ، ص ٢٢٥ .
(٣١) رشيد الدين ، جامع التواريخ م٢ ج١ ص ٢٨٦-٢٨٧ .
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ابن العبري ، ص ٢٧١ .

بالمغول ؛ غير ان الموت كان بانتظارهم خارج الاسوار وخرج الدويدار وسليمان شاه في اليوم التالي ولقيا نفس المصير .[٣٣]

ولم يجد الخليفة بدا من الخروج فاستاذن هولاكو في ذلك وخرج معه اولاده واهله ، فامر هولاكو بانزالهم بباب كلواذا ، وطلب الى الخليفة ان يصدر اوامره الى بقية المدافعين عن بغداد بالقاء اسلحتهم والخروج لاحصائهم فاستجاب لذلك وخرجت جماعات كبيرة منهم ، فاحاط بهم المغول وقتلوهم عن آخرهم ، ثم دخل هولاكو بغداد ليشاهد دار الخليفة وامر باحضاره ، فحضر المستعصم ومعه جمع من العلماء والاعيان ، وقدم الى هولاكو الجواهر والدرر واواني الفضة والثياب النفيسة ، ففرقها على الامراء ، وعنف الخليفة تعنيفاً شديدا وحمله مسؤولية ما وقع من احداث بسبب تهاونه في الدفاع عن البلاد وامساكه عن انفاق امواله لتقوية الجيش .[٣٤]

واطلق هولاكو اصحابه لنهب بغداد فاستباحوها مدة سبعة ايام[٣٥] ، وامر عساكره المرابطة على الاسوار بالنزول الى داخل المدينة والاشتراك في الاجهاز على السكان ، فلم يفرقوا بين الرجال والنساء والاطفال ، واستجار قسم منهم ببعض المقربين من المغول ، والتجأ بعضهم الى بيوت النصارى الذين كانوا قد حصلوا على الأمان والرعاية من المغول ، واشتعلت النيران في ارجاء بغداد ، فاحترق جامع الخليفة ومشهد موسى الكاظم ومراقد الخلفاء ، وكان القتلى في الاسواق والدروب كالتلول وقعت عليهم الامطار وداستهم الخيول فتغيرت صورهم ؛ ولم يلبث هولاكو ان امر بقتل الخليفة المستعصم مع ولده ابو العباس احمد ثم ابنه الاوسط ابو الفضل عبدالرحمن ، كما قتل اعمام الخليفة واقاربه وجماعة من الاعيان ؛ ثم امر برفع السيف واعلن ان من بقي على قيد الحياة اصبح من رعاياه[٣٦]

(٣٣) ابن العبري ، ص ٢٧١ .
(٣٤) نصير الدين الطوسي ، استيلاء المغول على بغداد ص٢٨ (رسالة بالفارسية ترجمها محمد صادق الحسيني ونشرت في مجلة المرشد البغدادية ج) .
(٣٥) ابن العبري ، ص ٢٧٢ ، ذكر ابن الفوطي ان المغول استباحوا بغداد مدة اربعين يوما ، الحوادث الجامعة ص ٣٢٩ .
(٣٦) رشيد الدين ، جامع التواريخ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ابن الفوطي ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، خصباك ، ص ١٤٢ ، القزاز ص ٣٢٩ .

وقد اختلفت روايات المؤرخين حول تقرير عدد الذين لقوا مصرعهم على ايدي المغول في بغداد: فذكر ابن الفوطي انهم كانوا يزيدون على ثمنمائة الف سوى من هلك من الاطفال ومن مات في المسراديب والآبار[٣٧] ، اما الذهبي فيقدر عدد القتلى بما يزيد على الف الف وثمنمائة[٣٨] ، ولاشك ان هذه التقديرات مبالغ فيها اذا ما اخذنا في نظر الاعتبار مساحة بغداد المحصورة بين الاسوار آنذاك ومدى استيعابها للسكان، بالاضافة الى ان الكثير من اهلها كانوا قد التمسوا النجاة بانفسهم بعد سماعهم باقتراب المغول الذين اشاعوا الخوف والذعر في نفوس الناس ؛ كما ان بجب ان لا ننسى الذين لجأوا الى بيوت النصارى او المقربين من المغول ، ومن ظل مختفياً عن الانظار في المناطق المهجورة ، والدليل على ان المغول لم يجهزوا على جميع السكان اعلان هولاكو بان بغداد اصبحت ملكاً لنا فليستقر الاهالي ولينصرف كل شخص الى عمله)[٣٩] ؛ وقد قدر المؤرخ الفرنسي جروسيه عدد القتلى بتسعين الفاً مستنداً الى دراسة المصادر الاولية ، ولعل هذا الرقم هو الاقرب الى الواقع .[٤٠]

وبعد ان اعلن هولاكو ايقاف القتال امر بدفن الموتى ورفع جثث الحيوانات من الطرقات والاسواق ، بعد ان فسد الهواء ببغداد وانتشر الوباء في ارجائها ؛ وقبل ان يغادر معسكره الى همدان امر بتنظيم الامور في العراق ، وفوض حكومة بغداد الى الامير علي بهادر وجعله شحنة بها ، واقر الوزير ابن العلقمي في الوزارة وفخر الدين الدامغاني في الديوان ، ونظام الدين عبدالمنعم في القضاء ؛ كما وزع المناصب الادارية والمالية على نجم الدين عبدالغني بن درنوس ، وتاج الدين علي بن الدوامي ، وفخر الدين مبارك ابن المخرمي ؛ ثم رحل هولاكو في جمادى الاولى من السنة نفسها ٦٥٦هـ ، وترك على بغداد قائدين من المغول في ثلاثة الاف جندي ، وواصل رحيله الى همدان .[٤١]

(٣٧) ابن الفوطي ، ص ٣٢١ .
(٣٨) الذهبي ، دول الاسلام ج ٢ ص ١٢١ .
(٣٩) رشيد الدين ، جامع التواريخ ص ٢٩٣ ، خصباك ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، القزاز ، ص ٣٢٨ .
(٤٠) Grousset, L'Empire des steppes. P. 299
(٤١) خصباك ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، القزاز ، ص ٣٤٠ .